Journal of Alasmarya University
Volume 11, June 2009

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الحادي عشر، يونيو 2009

الأثر العلمي للمنارة الأسمرية

الأستاذ الدكتور عمر التومي الشيباني نموذجاً

د. جمعة محمود الزريقي*

مقدمة

التحق الأستاذ عمر التومي الشيباني بالزاوية الأسمرية سنة 1945م بعد أن تحصل على تعليمه الأولي في مصراتة مع حفظ القرآن الكريم، وخلال دراسته في هذه المنارة العلمية استطاع أن يستوعب الكثير من العلوم التي كانت تدرس بها، وبعد ثلاث سنوات من التحاقه أصبح من المدرسين بها إلى أن تحصل على الشهادة الأهلية الثانوية سنة 1950م بعدها التحق بدار العلوم بمصر، وبعد أن تخرج منها سنة 1955م تحصل على الماجستير سنة 1961م ثم الإجازة الدقيقة (الدكتوراه) سنة 1962م وكلاهما من الجامعات الأمريكية، شغل بعد عودته إلى ليبيا عددا من الوظائف العلمية الكبيرة، إلى جانب قيامه بالتدريس الجامعي والإشراف على عدد كبير من الرسائل والأطروحات، وترك إنتاجا فكريا مميزا من كتب ودراسات في شتى المجالات العلمية تجاوزت الأربعين مؤلفا وتوفي رحمه الله في 2002/1/3 مسيحي ودفن بمصراتة.

لا يستطيع أحد أن ينكر ما لهذه المنارة العلمية من دور في مسيرة العلم بليبيا، فقد أسهمت في تكوين العلماء الذين تولوا مسيرة القضاء والتدريس والإفتاء والإمامة والخطابة وغيرها من الوظائف في جميع أنحاء ليبيا، يقول عنها الأستاذ علي التومي وهو أخو الدكتور عمر -رحمهما الله- ومن الذين درسوا فيها أيضا: قد تأسست هذه

---

* أمانة العدل.

الـزاوية العتـيدة –وبهـا جامعـة عربية إسلامية عريقة– منذ ما يقرب من خمسمائة عام، وهـي تعـد في نظـري ونظـر الكـثير مـن الـناس أيـضا مـن أرقى الجامعات إلى جانب مثيلاتها في العالمين العربي والإسلامي بل في العالم أجمع.

تهدف هذه الورقة إلى بيان دور المنارة الأسمرية في نشر العلوم وتكوين الأساتيذ الـذين أسـهموا في نهـضة الـبلاد، مـن خـلال حياة الأستاذ الدكتور عمر التومي الشيباني رحمه الله، باعتباره نموذجاً مختاراً لأحد خريجيها، ولعله لم ينس فضلها عليه، فخصص لهـا فصلا طويلا من سيرته الذاتية، كما أرخ لها أيضا أخوه الشيخ علي التومي الشيباني، فتـناول في كتابه الحياة العلمية التي كانت بالمنارة الأسمرية بكل تفاصيلها الدقيقة، ومن خلال هذين المصدرين سوف نتناول هذه المرحلة من تاريخها، لذلك قسمت الورقة إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: إنشاء المنارة وتطورها

أولا: ترجمة مختصرة لمؤسس المنارة

يعـود إنـشاء هـذه المـنارة إلى مؤسـسها الشيخ عبد السلام بن سليم بن محمد الفيـتوري الـشهير بالأسمر، المولود في زليطن يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سـنة 880هـ [1475/7/17م]، حفظ القرآن الكريم في صغره، ثم درس العلم على عدد مـن شـيوخ بلده، وبخاصة التوحيد والفقه واللغة العربية والمنطق، بعدها التحق بمسلاتة حـيث درس علـى شـيخه الدوكالـي، ثـم تـوالى تحصيله على عدد من العلماء أشهرهم الـشيخ أحمـد زروق الفاسي (ت 899هـ)[1] وفي بداية أمره لم يكن يميل إلى التصوف كمـا ذكـر في كتابه الوصية الكبرى التي وضعها لبيان طريقته الصوفية[2]، ولكنه انجذب إلى التـصوف ورجالـه بعـد أخـذه للطـريقة فيما بعد عن الشيخ الدوكالي والشيخ زروق وتجـول في مـناطق عديـدة، وتعـرض لـبعض المـشاكل، ويغلـب علـى مـؤلفاته الطابع الشعري باللغة الدارجة وجميعها في مجال التصوف، ولكنـها ضاعت في الحـوادث التي

1- رسائل الأسمر إلى مريديه، جمع وتحقيق ودراسة: د. مصطفى عمران رابعة، ص 20–26 دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2003م.

2- الوصية الكبرى، للقطب الرباني سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري، ص102، طبع مكتبة إحياء الكتب العربية، طرابلس، ليبيا، 1378هـ/1958م.

جـرت بعد وفاته، توفي رحمه الله في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة 981 هـ [1574م] ودفن في زاويته بزليطن[3].

تـرك الـشيخ عـبد الـسلام الأسمـر مجمـوعة مـن المؤلفات منها الوصية الكبرى ورسـالة مختـصرة في العقـيدة الإسـلامية وأصـولها، والأنـوار الـسنية في سندي للطريقة العروسـية، وغيرهـا[4] أمـا عـن طـريقته الـصوفية المعـروفة بالـسلامية فـيذهب بعـض المـؤرخين للحـركة الصوفية إلى أن السلامية هي العروسية، وأن العروسية المعروفة في طـرابلس، هـي فـرع مـن القادرية[5]، والذي أراه أن السلامية هي الأسمرية، وهى طريقة صـوفية نشأت في ليبيا، وإن كان مؤسسها لا ينفي أصلها المشتق عن الطريقة العروسية، فهـو حـريص على ذكر شيخه أحمد بن عروس في كل مناسبة[6] ولكن انتشار الطريقة علـى يـد الـشيخ عـبد الـسلام الأسمـر واعـتمادها علـى أصـول ومبادئ إسلامية، وعلى الحـضرة ومـا يصاحبها من ضرب الطار، وانتشار زواياها في العديد من الأقطار العربية والإسلامية في إفريقيا، يجعل منها طريقة مستقلة وإن كانت تستمد أصولها من الطريقة العروسـية، والطـريقة الـسلامية مـن الطرق الأكـثر انتشاراً في الوقت الحاضر إلى جانب الطريقة العيسوية، وتوجد لها زوايا عديدة في أقطار عربية وأفريقية.

ثانيا: تأسيس المنارة الأسمرية

قام الشيخ عبد السلام الأسمر بتأسيس زاويته في مدينة زليطن وهي التي أصبحت فـيما بعـد مـنارة علمـية، وكـان الغـرض الأول مـنها نشر العلم بتحفيظ كتاب الله تعالى وتنظـيم الحلقـات الدراسـية في العقـيدة والتفـسير والحـديث والفقه وعلوم اللغة العربية وآدابهـا، إلى جانب حلقات السماع الصوفي، وقد أحدث تأسيس الزاوية ردة فعل قاسية لـدى بعـض علمـاء البلاد الذين كانت لهم حلقات علمية بمساجد زليطن، لذلك ناصبوه العداء واتهموه بخرق الشريعة واستعدوا عليه السلطة الحاكمة[7].

3- رسائل الأسمر المصدر السابق، ص 37، حراس العقيدة، ص 24، مواهب الرحيم، ص 310.

4- رسائل الأسمر، المصدر السابق، ص 51-52.

5- معجم الطرق الصوفية، ص 268

6- مواهب الرحيم، المصدر السابق، وبه عدة صفحات من قصائد الشيخ عبد السلام الأسمر فيها ذكر شيخه أحمد بن عروس.

7- رسائل الأسمر، المصدر السابق، ص 32.

لم تحدد المصادر مكان تأسيس الزاوية إلا بالقول أنها في زليطن ويستفاد من كتاب تذييل المعيار الذي حقق أخيرا أن الشيخ عبد السلام الأسمر قام بإنشاء الزاوية خارج مدينة زليطن بمكان يبعد عنها بنحو الميل، وبنى مسجدا بجوارها، وقد لحقه عدد من أتباعه الذين قاموا بإنشاء عدد عشرين بيتا وأخذوا يؤدون الصلاة فيه بما في ذلك صلاة الجمعة، فوقع السؤال عن صحتها إذ يقع المسجد في دائرة الثلاثة أميال؟ وجاء في صيغة السؤال: أنه بعد انتقال الشيخ عبد السلام الذي وصف بالرجل الصالح، بركته ظاهرة، ومناقبه كالشمس الباهرة، من المدينة، لم يعد أحد يصلي في مسجدها الجامع لأن المصلي لا يأمن على نفسه إلا في المسجد الجديد؟ وكانت إجابة الشيخ محمد عاشور نزيل تونس آنذاك بجواز إقامة الجمعة للضرورة ولوجود الأمان المطلوب، إذ الخوف على النفوس والأموال من أقوى الأعذار المبيحة[8] ويفهم منها أيضا أن مكان المنارة الحالي كان خارج مدينة زليطن في بداية التأسيس ثم أصبح مركزا لها فيما بعد باتساع العمران من حولها.

ثالثا: انتشار رسالتها

واصلت المنارة الأسمرية جهودها بعد التأسيس، وسارت لتحقيق رسالتها في اتجاهين، الأول: نشر الطريقة الصوفية السلامية حتى شملت جميع المدن الليبية وامتد نطاقها إلى الدول المجاورة، منها القطر التونسي الذي أنشئت به العديد من الزوايا في الطريقة السلامية، وتدل المصادر التاريخية على أن الشيخ محمد أبو راوي من علماء القرن الحادي عشر، وهو من ذرية الشيخ عبد السلام الأسمر كان يتابع تلك الزوايا في تونس إلى جانب قيامه بالتدريس في منارة تاجوراء التي عرفت فيما بعد باسمه، وتشاء إرادة الله أن يتوفاه الله في جربة سنة 1088هـ ويدفن فيها أثناء قيامه بمتابعة نشاط الزوايا في تونس[9] أما في المشرق فيستفاد من بعض الحجج الوقفية وجود عدة زوايا في برقة ومصر تتولى نشر الطريقة إلى جانب التعليم الديني والتربية الروحية، ولها أوقاف كثيرة ينفق منها على تلك الزوايا ويعين المتولي عنها من طرف ناظر عموم أوقاف زوايا

8- تذييل المعيار، للشيخ عبد السلام بن عثمان العالم التاجوري (ت 1139 هـ) تحقيق د. جمعة محمود الزريقي، ص 1/395، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس ليبيا، 2008 مسيحي.

9- الشيخ أبو عبد الله محمد أبوراوي، العالم الفلكي والصوفي المجدد والمدرس القدير، بحث للدكتور جمعة محمود الزريقي، مجلة الرفقة العدد 16 ص 107-120، ذو القعدة 1373و.ر. الموافق الكانون 2005 ف.

الشيخ عبد السلام الأسمر، لحفظها وتحصيل ريعها وصرفه فيما يعود نفعه عليها وتستدام به عمارتها[10] وهذا الانتشار للزوايا الأسمرية يدل على قبول الناس لها واستفادتهم منها، ولا يخفى ما لهذه الطريقة من فوائد تربوية روحية مع المحافظة على الدين الإسلامي.

أما الاتجاه الثاني فهو المساهمة في النهضة العلمية بتخريج العلماء وتكوين الأساتذة الذين تولوا مرافق القضاء والوظائف والفتوى والتدريس والإمامة والخطابة بكافة أنحاء ليبيا، فكانت بمثابة جامعة كبرى قامت بدور كبير لا يمكن تجاهله أو إنكاره، إذ كان الولوج إليها لا يتم إلا بعد التحصيل العلمي من المدارس والزوايا المنتشرة في ربوع ليبيا، لقد شمل الإشعاع العلمي لهذه المنارة كافة المرافق الإدارية والعلمية، وغطى خريجوها حاجة البلاد للمستويات العالية للتعليم، وأسهموا بدورهم في المحافظة على القرآن الكريم واللغة العربية وكافة العلوم الأخرى ولعل ما نذكره عن المثال الذي اخترناه ما يعطي صورة واضحة لدور هذه المنارة الكبرى في النهضة العلمية في ليبيا.

المبحث الثاني: الدكتور عمر التومي الشيباني

نبذة عن حياته ودراسته في الجامعة الأسمرية

أولا: نبذة عن حياته والتحاقه بالمنارة

ولد الدكتور عمر التومي الشيباني -رحمه الله- في مدينة مصراتة بتاريخ 11/5/ 1927م[11] وفيها تلقى تعليمه الأولي حيث التحق بالمدرسة العربية الإيطالية الابتدائية

10- قرار المحكمة الشرعية العليا برئاسة فضيلة الشيخ إبراهيم باكير بتولية الشيخ عبد السلام بن الشيخ عبيد بن محمد الشيخي الفيتوري مقدما على زوايا جده بقطر برقة وملحقاته وقطر مصر، مؤرخ في 23 ذي الحجة 1350 هـ الموافق 1932/5/18م.

11- إن التاريخ الذي تضمنته الوثائق الرسمية، هو 1930/4/25، وهو المذكور في عدة مصادر، منها دليل المؤلفين العرب الليبيين، ص 295 نشر دار الكتب، أمانة الإعلام والثقافة، 1397هـ/1977م، وكتاب مصراتة معالم وملامح، ص 247، جمع وإعداد، أ. شعبان القبي، ط أولى 2000 مسيحي، إلا أن الكتاب الذي ألفه الأستاذ علي محمد التومي الشيباني، وهو أخ الدكتور عمر، ذكر أن تاريخ ميلاده الحقيقي هو المدرج في المتن 1927م، راجع : الدكتور عمر التومي الشيباني، سيرته الذاتية وآثاره العلمية، ص 69 الطبعة الأولى، مصراتة، 2004 ف.

بمصراتة، وتحصل منها على شهادة إتمام المرحلة الابتدائية سنة 1940م، التحق بعد نشوب الحرب العالمية الثانية وقفل المدارس المدنية بجامع الصور حيث حفظ القرآن الكريم برواية قالون عن نافع على يد الشيخ محمد أحمد ساسي، بعد ذلك التحق بزاوية البي بمصراتة لمواصلة التعليم الأصيل بإتقان القرآن الكريم قراءة ورسما ومبادئ العلوم العربية والشرعية على أيدي كثير من العلماء الكبار الذين كانوا يدرسون هذه العلوم في المساجد والزوايا.

التحق بعد هذه المرحلة الدراسية بالمنارة الأسمرية التي كانت تعرف آنذاك بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري، وكان ذلك سنة 1945م، يقول عن ذلك في سيرته الذاتية: قررت الهجرة إلى معهد أو زاوية عبد السلام الأسمر الفيتوري التي كانت عامرة بالعلم، ولها شهرتها العلمية الواسعة[12] كانت زليطن هي محطته الأولى في سلك التعليم العالي، ومن خلال ما نستعرضه من كتب قام بتأليفها أو بحوث قام بإعدادها نجد أن تأثير العلوم التي تحصل عليها في هذه المنارة كان واضحا فيها، فهي الأساس التي انطلق منه ليواصل تعليمه في حواضر أخرى، وربما كانت تلك العلوم التي جمع بينها وبين التعليم العصري هي التي جعلت منه عالما كبيرا أسهم في نهضة بلاده في عدة مجالات وقد تميزت شخصيته وعلومه بنوع من الاتزان والوسطية والميل إلى الحضارة الإسلامية وتاريخها الثقافي على عكس غيره ممن تحصل على فرصة الدراسة في البلدان الغربية، فكانت أفكاره أقرب إلى الفكر الغربي منها إلى التراث العربي الإسلامي.

تميزت دراسته في المنارة الأسمرية بمرحلتين: الأولى تحصيله العلمي على عدد كبير من علمائها، والثانية قيامه بالتدريس فيها بعد ثلاث سنوات من التحاقه بها، وكانت هذه الطريقة متبعة في هذه الجامعة حيث يتولى بعض الطلبة النجباء مهمة التدريس إلى جانب شيوخهم الكبار فيها، ليساعدوهم في توريث الدين وعلومه، ونقل العلوم الإنسانية والكونية إلى الأجيال الصاعدة من بعدهم، ويكونوا بعد ذلك كله دارسين ومدرسين في الآن نفسه، وهذا ما يعرف في العصر الحديث بوظيفة المعيد التي نبعت من ثقافة المسلمين ولم تكن مستوردة من الغرب[13] وخلال أدائه تلك المهمة قام بتدريس كتاب

12- أ. د. عمر التومي الشيباني مسيرة علم وعطاء، نقابة أعضاء هيئة التدريس، جامعة الفاتح كلية الآداب، ص 17، 2001م.

13- أ. د. عمر التومي الشيباني، سيرته الذاتية وآثاره العلمية، المصدر السابق، ص 27.

العـشماوي في الـنحو، وكـتاب الأزهـرية في الـنحو أيـضا، ورسالة البيان في علم البيان وكـتاب العقـيدة الـسنوسية في علم التوحيد، يقول رحمه الله عن فترة دراسته في زليطن: استمرت دراستي في المعهد الأسمري على النحو النشط حوالي خمس سنوات تعتبر في فائدتها وجدواها وقيمتها العلمية بمثابة دراسة عشر سنوات[14].

ثانيا: تأثير المنارة الأسمرية في إنتاجه الفكري

ترك المرحوم الدكتور عمر التومي الشيباني ما يقارب أربعين كتابا وهي الذخيرة الـتي تـدل على مقدرته العلمية الواسعة ومساهمته في مسيرة العلم والثقافة، وقد شملت هذه المؤلفات العديد من المعارف الإسلامية والإنسانية وإن كنا نجد أغلبها في الإصلاح التربوي وعلم النفس، إلا أنها شملت مجالات أخرى منها: تطور التعليم، وبناء المجتمع، وخدمـة المعـاقين، ورعايـة الطفـولة وتـاريخ الثقافة في ليبيا، والإدارة التعليمية، والرعاية الاجتماعـية، وبعض العلوم الطبية المترجمة من اللغة الإنجليزية، وله كتاب عن فلسطين مترجـم مـن الإنجليزية أيضا، كما شرع في آخر حياته في تفسير القرآن الكريم، ولكن المنية عاجلته وقد وصل فيه إلى سورة الكهف[15].

وبرغم كثرة هذه المؤلفات وتنوعها غير أن تأثير العلوم الإسلامية التي درسها في المـنارة الأسمرية كان واضحا وجليا في مؤلفاته، حيث نجد من بينها مقدمة في الفلسفة الإسـلامية، صـدر سـنة 1975م، وكـتاب مـن أسس التربية الإسلامية، صدر سنة 1979م، وتطـور التعلـيم العالـي في ظـل الحـضارة الإسـلامية، 1982م، مفهوم الإنسان في الفكر الإسـلامي، 1987م، الـرعاية الاجتماعـية والتربـية في الفكـر الإسـلامي، 1996م رعايـة الـشباب في الفكـر الإسـلامي، تحـت الطـبع، وتفسير القرآن الكريم، تحت الطبع، ودور التراث في تأكيد الأصالة الذي صدر عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

لو تناولنا الكتاب الأخير لوجدنا تأثير المنارة الأسمرية واضحا فيه عندما تطرق في هذا الكتاب للتصوف، فقد خصص الفصل الرابع من الكتاب لدراسة الحركة الصوفية في المجـتمع العربي المسلم، عالج فيه مفهوم التصوف والأصل الذي اشتقت منه الكلمة، ونشأة التصوف الإسلامي وأصوله الأولى في الإسلام وخصائص التصوف السلفي السني،

14- أ. د. عمر التومي الشيباني، مسيرة علم وعطاء، المصدر السابق، ص 20.

15- سيرته الذاتية وآثاره العلمية، المصدر السابق، ص 45 -47.

والمبادئ العامة التي يقوم عليها وغايات وآداب التصوف الإسلامي والتأثيرات الخارجية التي طرأت عليه، ثم تناول في الفصل الخامس حياة الشيخ أحمد زروق باعتباره أحد المتصوفة الذين عاشوا في بلادنا، وتطرق إلى أصول طريقته الصوفية ومصنفاته وتأثيره في غيره أما الفصل السادس فقد خصصه لدراسة الحركة الصوفية كأحد السبل التي ربطت الأقطار المغاربية تناول فيه الروابط بين هذه الأقطار والعوامل التي كان لها تأثيرها في علاقات شعوبها، وانتشار الصوفية ودوره في وحدة الأقطار المغاربية.

أشار في هذه الدراسة إلى الطريقة العروسية التي تحقق لها انتشار واسع في ليبيا وتونس ومصر، وهي تنتمي إلى الأرومة الشاذلية ولكنها تدعمت بتبني الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري وتبني أولاده وأتباعه من بعده لهذه الطريقة[16] ولعل هذه الفصول التي كتبها عن التصوف من الدراسات الجادة في هذا المجال، فلم يقتصر على سير المتصوفة أو مبادئهم وشيئا من أفكارهم وإنما قام بتحليل مبادئ التصوف وبيان أسسها والطرق التي قامت عليها ودورها في تأكيد الأصالة الإسلامية مع التفريق بين التصوف السني السلفي والأفكار الإشراقية التي وردت في بعض أقوال المتصوفة ومؤلفاتهم.

والحقيقة التي يجب أن نؤكد عليها أن تاريخ بلادنا الثقافي شهد العديد من الطرق الصوفية، منها الطرق التي انتقلت إليها من بيئات أخرى، ومنها الطرق التي نشأت بها، أو تطورت عن طرق سابقة، ومثال ذلك الطريقة السلامية التي تنتمي في الأصل إلى الطريقة العروسية، ولكن هذه الطرق لم تحظ بدراسات جادة لمبادئ التصوف ومساهمتها في الحركة الفكرية، وأغلب ما لدينا من كتابات تتعلق بالتراجم والسير وسرد الكرامات دون التعمق في الأفكار الصوفية ودورها في الحياة الثقافية[17].

المبحث الثالث: المنهج الدراسي للمنارة الأسمرية

نحاول في هذا المبحث معرفة العلوم التي قام بدراستها المرحوم الدكتور عمر التومي الشيباني خلال فترة تحصيله في الجامعة الأسمرية (1945-1950) وكذلك نظام التدريس والمناهج المقررة وملامح الحياة الثقافية في تلك الفترة من خلال ما سطره

16- دور التراث في تأكيد الأصالة، أ. د. عمر التومي الشيباني، ص 195 نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، 1430 من ميلاد الرسول ﷺ، 2000 إفرنجي.

17- مباحث في التصوف والطرق الصوفية في ليبيا، د. جمعة محمود الزريقي، ص 25، الكتاب تحت الطبع.

بنفسه في سيرته الذاتية وما كتبه أخوه الشيخ علي التومي الشيباني الذي كان رفيقا له آنذاك.

أولا: ملامح عن الدراسة في المنارة

وصف رحمه الله انتقاله لطلب العلم من مصراتة إلى زليطن «بالهجرة إلى زاوية عبد السلام الأسمر لطلب العلم» برغم أن المسافة بينهما لا تزيد عن خمسين كيلومترا، ولكنه استعمل مصطلح الهجرة ليعبر به عن نيته الحقيقية في طلب العلم، اتفاقا مع الحديث الشريف: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ...»[18]، ويعود سبب اختياره إلى أن هذه الزاوية كانت عامرة بالعلم ولها شهرتها العلمية الواسعة، هذا هو السبب الأصلي في الاختيار، الشهرة العلمية الواسعة، ووجود عدد كبير من العلماء بها، وذلك ما تعنيه كلمة (عامرة بالعلم) وذلك ما جعل الإقبال عليها من مختلف أنحاء ليبيا، فلم يكن إشعاع تلك المنارة قاصرا على زليطن أو مصراتة أو الخمس، بل من جميع مناطق ليبيا الغربية، قال في سيرته الذاتية «وجدنا الزاوية عامرة بالطلاب من جميع نواحي ليبيا، وبخاصة المناطق الوسطى القريبة من زليطن، مثل: قماطة، وغنيمة، ومسلاتة، وترهونة وورفلة، والخمس، وساحل الأحامد، والعزيزية، وقد جاء في الفترة التي جئنا فيها عدد من منطقة الهنشير القريبة من مدينة طرابلس».

هناك عامل آخر شجعه على الولوج في هذه الجامعة، وهو «انخراط عدد من أبناء مصراتة الذين كانت هجرتهم إلى هذه الزاوية في أوقات متقاربة» ذكر بعضهم من بينهم الشيخ مصطفى عبد السلام التريكي.

كان الجو السائد في الجامعة منتظما متوافقا بين إدارتها وأساتذتها وطلابها فمن حيث الإدارة كانت «جيدة حازمة لها احترامها الواسع بين المشايخ والعلماء والطلاب وأولاد الشيخ، كان على رأسها الشيخ سالم بن حمودة وكان يساعده ثلاثة وكلاء، هم: الشيخ أحمد شادي، والشيخ عبد السلام ادراه والشيخ علي بن نجي، يضاف إليهم الشيخ محمد الدوفاني الذي كان شيخ الفقراء أو أتباع الطريقة العروسية بالزاوية، والشيخ مختار

18- الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم 6837، قال محققه أ. حمدي الدمرداش محمد العدل: أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وغيرهم، ص 5/2329، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م.

جـوان المـشرف علـى تحفـيظ القـرآن بالـزاوية، والشيخ سليم بن محسن المشرف على زاوية تحفيظ القرآن للطلبة الصغار من أهل زليطن»[19].

تتولى تلك الإدارة تسيير وتوجيه كل المهام الإدارية والتعليمية بكل جدارة وحزم، واقـتدار، وأمانـة، وعفـة، كمـا كانـت تقـوم بمتابعة الأوقاف الكثيرة التي أوقفها أهل البر والإحـسان علـيها لمواصلة دورها العلمي والخيري، ولعله من نافلة القول إن الوقف هو الـذي أسهم في بقاء هذه المنارة طيلة خمسة قرون خلت، ولولا تلك الأمانة والعفة التي تتمتع بها إدارة المنارة وحرصها على أموال الوقف بالحفاظ عليها وإنفاقها في السبل التي حـددها الواقفـون، لـضاعت تلك الأوقاف وتوقفت الدراسة، لهذا لم تكتف هذه الجامعة بـتوفير العلمـاء للـتدريس فقـط، وإنما كانت توفر للطلبة المغتربين خدمات السكنى في خـلاوي الـزاوية، وتـصرف لهـم شـهريا مقـدارا من التمر وزيت الزيتون وبعض المبالغ المالـية، والمـساعدات العينـية في شـكل ملابـس وغير ذلك[20] فكان هذا التنظيم محل إكـبار، لأنـه أسـهم في استقرار الدراسة وقيام المنارة بدورها التعليمي ولذلك كانت تلك الإدارة تتمتع باحترامها الواسع بين المشايخ والعلماء والطلاب[21].

أمـا عـن أعضاء هيئة التدريس فقد كانت الجامعة تضم العديد من العلماء الكبار قـال عـنهم الدكتور عمر –رحمه الله–: كان من بين مشايخ العلم البارزين الذين يقومون بالتدريس في وقتنا داخل الزاوية: الشيخ منصور أبو زبيدة، والشيخ أبوبكر حمير، والشيخ مفـتاح لبـيدي، والـشيخ الطـيب عـثمان المـصراتي والـشيخ محمد مختار جوان، والشيخ محمـد بـن حـسين القماطي والشيخ محمد حسين القماطي الصغير، كما ذكر في سيرته الذاتـية بعـض الأسـاتذة الآخرين: منهم: الشيخ ابن قنونو من زاوية البازة بزليطن، والشيخ محمـد أبـو رخـيص (لعله من غريان) والشيخ شكري النعاس من تاجوراء وكان قاضيا بزليطن،والـشيخ بـشير الـصاري، والشيخ سليمان الزوبي، والشيخ أحمد المبسوط والشيخ عبد السلام حمودة، والشيخ فرج حرير، والشيخ بشير عبد الله الصاري[22].

يلاحظ من خلال أسماء هؤلاء الأساتذة أنهم ينتمون إلى عدة مناطق ليبيا ضمتهم

19- مسيرة علم وعطاء، المصدر السابق، ص 17، وسيرته الذاتية وآثاره العلمية، المصدر السابق، ص 27–28.

20- مسيرة علم وعطاء، المصدر السابق، ص 18.

21- سيرته الذاتية وآثاره العلمية، المصدر السابق، ص 27 – 28.

22- مسيرة علم وعطاء، المصدر السابق، ص18، وسيرته الذاتية وآثاره العلمية، المصدر السابق، ص26–27.

هـذا الجامعـة الكـبيرة لـيؤدوا دورهم في نشر العلم والثقافة على مستوى الوطن بكامله، فكمـا جـذبت طلـبة العلم من عدة أماكن في ليبيا، فإنها استطاعت أن تضم خيرة علماء ليبـيا آنـذاك، حتى أضحت جامعة عريقة، فهؤلاء الأساتذة كانوا من الجيل الأول في بناء النهضة التعليمية في ليبيا، بعد أن خيم عليها بعض الوهن خلال بداية العهد الإيطالي من جـراء الحروب التي خاضها أبناء الوطن، ولكن مع وجود الاستعمار الجاثم على البلاد، قـام هؤلاء الشيوخ بدورهم في نشر العلم وتكوين الأطر التي خلفتهم في مسيرة التعليم والقيام بالوظائف الأخرى.

ثانيا: القيمة العلمية للمناهج الدراسية

نـستطيع مـن خـلال مـا سـطره د. التومـي في سـيرته الذاتـية الحـصول بيان واف للمـناهج الدراسـية في الجامعـة الأسمـرية، كانت الطريقة المتبعة في التدريس أن الدراسة بالـزاوية تـستمر طـيلة الـيوم صـباحا ومساء، وكانت تستهدف تحصيل العلم لذات العلم، بحـيث يقـرأ الطالـب الكـتب المقـررة مـن أولها إلى آخرها، أو من الغلاف إلى الغلاف، بكامـل محتوياتها من متن وشرح وحاشية وتعليقات، بل كان يذاكر معها كتبا أخرى بها شـروح وحـواش أخـرى علـى نفـس الكـتب أو علـى كـتب مـشابهة لهـا في نفس العلم والموضوع[23].

أمـا عن المنهج الدراسي فقد كانت الكتب المقررة على طلاب الجامعة الأسمرية علـى مـستوى رفـيع مـن العلـم والإعـداد، ويكفـي عـند استعراضـها معرفة مكانتها في الـنهوض بمـستوى الطـلاب الذين يعدون لتولى مهام كبرى كالقضاء والتدريس والإمامة والخطابة والإفتاء، لقد كان كتاب الله تعالى هو المقرر الأول في هذه الجامعة، فلا يكفي حفظـه قـبل الولـوج إلـيها، بـل لا بـد من استعراض حفظه وتلاوته بإتقان، ثم بعد ذلك يعكف الطلاب على النهل من الكتب عن طريق شيوخهم.

فقـد تلقى الدكتور عمر في هذه الزاوية العتيدة مع زملائه الكرام كثيرا من الكتب المعروفة القيّمة في نطاق مفردات مناهج مقررة غنية، وفق بنيتها التعليمية والتربوية وفي مقدمـتها حفـظ كتاب الله العزيز، ثم حفظ كتاب (مجمع المتون) اللازم حفظه على كل طالـب يـروم الدراسـة في مـثل هـذه الكـتب المقـررة والمـتون عبارة عن خلاصات لما

23- مسيرة علم وعطاء، المصدر السابق، ص 18.

احتوته هذه الكتب العلمية المصنفة من مواد علمية وتعريفات وقواعد، يسهل على الطلاب حفظها منظومة أو منثورة بحسب أبوابها وفصولها[24].

أما الكتب المقررة التي درسها الدكتور عمر الشيباني فقد لاحظت وجود اختلاف بين ما ذكره في سيرته الذاتية، وبين ما كتبه أخوه الشيخ علي بعد وفاة الدكتور عمر، لقد كان الدكتور عمر مختصرا في سرده للكتب التي درسها وذكر معها الشيخ الذي قام بتحصيلها عليه، بينما سرد الشيخ علي كتبا كثيرة غير التي ذكرها الدكتور عمر، ويبدو لي أن تحصيل الدكتور عمر كان يزيد عن المقرر الدراسي، وقد أشار إلى ذلك عندما قال: إنه لا يكتفي بمذاكرة الكتاب موضوع الدراسة فقط، بل يذاكر معه شروحا وحواشي أخرى على نفس الكتاب أو على كتب مشابهة ومشاركة له نفس العلم والموضوع[25] لذلك نكتفي بذكر الكتب المقررة وفق روايته رحمه الله.

قال -رحمه الله- عن الكتب العلمية المنهجية التي قرأها، والتي كانت على النحو التالي:

- كتب في مجال النحو: شرح قطر الندى، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، وحاشية ابن حمدون على خالد.
- كتب في مجال الفقه الإسلامي وعلم المواريث: شرح أقرب المسالك في الفقه، وشرح التاودي على متن العاصمية، وشرح التسولي عليها، وشرح خليل في الفقه، وشرح متن الرحبية في الفرائض، وشرح الشنشوري في الفرائض أيضا، وشرح الدرة البيضاء في الفرائض، وشرح السوسي في الفلك.
- وفي مجال أصول الفقه: جمع الجوامع، وتنقيح الأصول للقرافي.
- وفي مجال أصول العقيدة: شرح السنوسية، وشرح الجوهرة في علم التوحيد، والعقائد النفسية في مجال أصول العقيدة والتوحيد.
- وفي مجال المنطق: شرح الدمنهوري على متن السلم والخبيصي على التهذيب.
- وفي مجال علم المعاني والبلاغة: الجوهر المكنون، ورسالة البيان، وشرح السعد التفتزاني[26].

24- سيرته الذاتية وآثاره العلمية، المصدر السابق، ص 24.

25- مسيرة علم وعطاء، ص 18.

26- المصدر نفسه، ص 19-20، ولملاحظة الفرق بين ما ذكره الدكتور عمر لما قرأه من كتب، هذا =

يتضح من هذه الكتب التي درسها أن المنهج المقرر في هذه المنارة لا يقل عن المنهج الدراسي الذي يدرس في أرقى الجامعات العريقة آنذاك، وهي كما يلاحظ تشمل عدة علوم، منها العقيدة، واللغة العربية وآدابها، والفقه وأصوله والميراث، والفلك، والمنطق ... إلخ، ومما يدل على شمولية المنهج ودسامته أنه عندما سافر إلى مصر للالتحاق بالأزهر الشريف أجري له امتحان شامل للعلوم التي درسها سابقا « فلاحظ الممتحنون أنه قد درس معظم الكتب العلمية الكبيرة والرئيسة التي كانت تدرس في كليات الأزهر الثلاث، وأنه يتمتع بمستوى عال في العلوم الدينية واللغوية والعقلية، مما جعل بعض الممتحنين يقول له: ماذا يريد أن يدرس في كليات الأزهر إذا كان قد درس في بلده كل تلك الكتب الأمهات ذات المستوى العالي التي سبق له دراستها في زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر بزليطن »[27]، ذلك ما جعله يتوجه إلى دار العلوم، وهي جامعة حديثة في مصر.

كانت الشهادة التي تمنح من المنارة الأسمرية هي شهادة التطوع، وهي كفاءة تعطى للمتخرج بعد امتحان الطالب وإجازته من جميع أساتذة المنارة وهي شهادة تؤهله للتدريس ولشغل الوظائف الدينية والقضائية، وهذه الشهادة تحمل نفس الاسم التي تمنح من جامع الزيتونة بتونس ذلك ما ذكره الشيخ محمد مفتاح قريو –رحمه الله– وهو من الذين درسوا في المنارة وتخرجوا منها[28] ويبدو أن اسم الشهادة قد تغير في الفترة التي درس فيها الدكتور عمر حيث يمنح الخريج الشهادة الأهلية في اللغة العربية

=

مثال لما ذكره الشيخ علي عن الكتب التي قرأها في مجال واحد فقط: ففي مجال اللغة العربية وآدابها، درس كتاب قطر الندى وشرح شذور الذهب، ومغني اللبيب لابن هشام، وحاشية ابن خلدون على الشيخ خالد، وحاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح للشيخ خالد على التوضيح، كما درس أيضا، شرح أوضح المسالك لابن مالك، وشرح التسهيل، وشروح ألفيته على ابن عقيل، وحاشية الصبان والدماميني على شرح الأشموني، وهمع الهوامع للسيوطي، وشرح الكافية للرضي، وشرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري، وشرح المفتاح للسكاكي، والتلخيص للسعد التفتزاني، ورسالة البيان، والجوهر المكنون في البلاغة العربية، وشرح المعلقات السبع في الشعر الجاهلي، وشرح البردة وبانت سعاد، وغير ذلك.

27- سيرته الذاتية وآثاره العلمية، المصدر السابق، ص 33.

28- ذكر ذلك الشيخ محمد مفتاح قريو، رحمه الله، وهو من الذين درسوا بالمنارة الأسمرية، وتخرجوا منها، وقام بالتدريس فيها بعد ذلك تراجم ليبية د. جمعة محمود الزريقي، ص 274، دار المدار الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى، 2005 مسيحي.

وأحكام الشريعة الإسلامية والمنطق وقد تحصل عليها سنة 1950 مسيحي، وهذه الدرجة العلمية تؤهل صاحبها للإفتاء والتدريس في جميع مراحل التعليم.

ويرى أخو الدكتور عمر الأستاذ علي التومي الشيباني، وهو من الدارسين بالمنارة الأسمرية -رحمهما الله تعالى- أن هذه الشهادة تمكن المتحصل عليها من التدريس في أعلى مستويات التعليم التخصصية والدقيقة في مجال العلوم العربية والإسلامية والإنسانية عموما، وهي تعادل أكبر من درجة علمية للماجستير والدكتوراه التي تمنح في الجامعة الحديثة في بلادنا وغيرها من بلاد العالم[29] ولا يبعد قوله عن الحقيقة إذ إن الكتب التي كانت مقررة على الطلاب حينذاك، تفوق كثيرا المواد العلمية المقررة حاليا في الجامعات، من حيث كمية المادة العلمية ومن حيث قوتها وأصالتها وشموليتها.

الخاتمة

نصل بعد هذا البحث في تاريخ المنارة الأسمرية من خلال أحد خريجها المتميزين وهو الأستاذ الدكتور عمر التومي الشيباني -رحمه الله- إلى النتائج الآتية:

1. تميزت حياة الأستاذ الدكتور عمر التومي الشيباني بشمولية التحصيل العلمي وتنوعه، فقد تعددت منابعه لتشمل أرقى ما في الوطن من مؤسسات تعليمية وهي المنارة الأسمرية، وكلية دار العلوم بمصر، وهي أحدث المؤسسات العلمية بعد الأزهر الشريف، والجامعات الأمريكية التي تحصل منها على أعلى الشهادات، فجمع علمه من الساحات المحلية والعربية والعالمية.
2. تمثل المنارة الأسمرية القيمة العلمية التي وصل إليها التعليم الأهلي في ليبيا، بعد أن سيطر الاستعمار عليها، وحاول طمس دينها ولغتها، فكانت المنارات العلمية وعلى رأسها المنارة الأسمرية هي التي حافظت على الهوية العربية الإسلامية بقيامها بالتعليم والتربية الروحية من خلال الطريقة الصوفية منذ خمسة قرون خلت وحتى الوقت الحاضر.
3. أن المناهج الدراسية التي كانت تدرس في هذه المنارة لا تقل في قيمتها العلمية وتنوعها وشموليتها عن المناهج التي كانت مقررة في المنارات العلمية العريقة في الدول المجاورة كالأزهر الشريف وجامع الزيتونة العريق، الأمر الذي يجب معه إبراز دور المنارة الأسمرية في الدراسات التاريخية ودعمها حاليا لأداء رسالتها في

29- سيرته الذاتية وآثاره العلمية، المصدر السابق، ص 26.

مرحلة التعليم الجامعي والعالي.

4. أسـهمت المـنارة الأسمـرية في تكوين الأساتذة والعلماء الذي غطوا حاجة البلاد من القـضاة والمفاتي، والأئمة، والخطباء، والمدرسين، وأصحاب الوظائف العامة، إضافة إلى دورها الروحي في الحفاظ على الدين الإسلامي وإقامة شعائره.